

تفسير ابن كثير

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ^ج وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ^ج إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

أمر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين دينا وذاتا بنفي المشركين الذين هم نجس دينا ، عن المسجد الحرام ، وألا يقربوه بعد نزول هذه الآية . وكان نزولها في سنة تسع ؛ ولهذا بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليا صحبة أبي بكر - رضي الله عنهما - عامئذ ، وأمره أن ينادي في المشركين : ألا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان . فأتى الله ذلك ، وحكم به شرعا وقدره . وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله تعالى : (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) إلا أن يكون عبدا ، أو أحدا من أهل الذمة . وقد روي مرفوعا من وجه آخر ، فقال الإمام أحمد : حدثنا حسين حدثنا شريك ، عن الأشعث - يعني : ابن سوار - عن الحسن ، عن جابر قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لا يدخل مسجدنا بعد عامنا هذا مشرك ، إلا أهل العهد وخدمهم . تفرد به أحمد مرفوعا ،

والموقوف أصح إسنادا .وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي : كتب عمر بن عبد العزيز -

رضي الله عنه - : أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين ، وأتبع نهيه قول

الله : (إنما المشركون نجس) وقال عطاء : الحرم كله مسجد ، لقوله تعالى : (فلا

يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) .ودلت هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك كما

دلت [على طهارة المؤمن ، ولما] ورد في [الحديث] الصحيح : المؤمن لا ينجس وأما

نجاسة بدنه فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات ؛ لأن الله تعالى أحل طعام أهل

الكتاب ، وذهب بعض الظاهرية إلى نجاسة أبدانهم .وقال أشعث ، عن الحسن : من

صافحهم فليتوضأ . رواه ابن جرير .وقوله : (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله

(قال ابن إسحاق : وذلك أن الناس قالوا : لتقطعن عنا الأسواق ، ولتهلكن التجارة

وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فنزلت (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من

فضله) من وجه غير ذلك - (إن شاء) إلى قوله : (وهم صاغرون) أي : إن هذا عوض

ما تخوفتم من قطع تلك الأسواق ، فعوضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك ، ما أعطاهم

من أعناق أهل الكتاب ، من الجزية .وهكذا روي عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ،

وسعيد بن جبير ، وقتادة والضحاك ، وغيرهم . (إن الله عليم) أي : بما يصلحكم ، (حكيم) أي : فيما يأمر به وينهى عنه ؛ لأنه الكامل في أفعاله وأقواله ، العادل في خلقه وأمره ، تبارك وتعالى ؛ ولهذا عوضهم عن تلك المكاسب بأموال الجزية التي يأخذونها من أهل الذمة